HexaTimes
Delaware, United States
HexaJournal of Law Sciences
هكسا جورنال
العلوم القانونية

السياسي بين السياسة واشكاليات الخطاب السياسي

الدكتور محمد مهداوي
دكتور في القانون العام والعلوم السياسية

الملخص

ان عوالم السياسة وادوار السياسي والخطاب والتواصل والديمقراطية والسلطة والأقنعة هي مفاهيم مرتبطة متشابكة متلازمة. وللوقوف على هذا الترابط بين الفعل السياسي وأقنعة السلطة والممارسة ومطامع السياسي وتطلعاته المعلنة والمضمرة والتي من شأنها انتاج معرفة جديدة تستمد خصوصياتها من كون الخطاب السياسي كينونة سياسية تتحول مع الفاعل السياسي والممارس أيضا للعمل السياسي والمؤسسات السياسية الى اليات لممارسة السلطة وشرعنتها لاستثمارها في توجيه الرأي العام. وتسعى هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات من قبيل: لمادا أصبح الخطاب السياسي وجها من أوجه السياسة؟ وهل يمتلك السياسي اليوم باحترافية ووعي ودراسة هذا النوع من الخطاب؟ وكيف يمارس هذا الفعل من خلال تواجده في المشهد السياسي وفي المحطات السياسية الحزبية والانتخابية؟ ، وماهي حدود طموحاته ورغباته الخفية والمعلنة؟

The politician between politics and the problems of political discourse

Abstract

Actually, the worlds of politics, the politicians' role, discourse, communication, democracy, power, and masks are interrelated, intertwined concepts. In this article we will investigate this interrelationship between political action and the masks of power and practice, the aspirations of the politician and both his explicit and implicit aspirations. This would produce new knowledge which derives its specities from the fact that the political discourse is a political entity that transforms with the political actor and also the practitioner of political action and political institutions into mechanisms for exercising of power and its legitimacy so as to invest it in guiding the public opinion. This study seeks to answer a set of questions, such as: Why has the political discourse become one aspect of politics? Does the politician today have the professionalism, awareness and study of this type of discourse ? How does he practice this act through his presence in the political scene and in the political, partisan and electoral stations ? What are the limits of his hidden and declared ambitions and desires ?

المقدمة

ان عملية المعرفة تستهدف الوصول الى حقيقة الأشياء المحيطة بنا في الطبيعة والمجتمع، من خلال مجموعة من الإجراءات الذهنية التي تدور بين العقل الإنساني والظاهرة محل الدراسة أي المادة التي نريد أن نتعرف على حقيقتها. اذن فطرفا عملية المعرفة هما العقل الإنساني و "الظاهرة محل الدراسة". وتتمثل عملية المعرفة في نوعين من العلوم "علوم طبيعية " تتعلق بدراسة الظواهر الطبيعية مثل

علوم الفيزياء والكمياء والأحياء والطب والفلك. و"علوم اجتماعية" تتعلق بحياة الانسان في المجتمع مثل علوم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم الاجتماعية الأخرى[1].

تسعى الدراسات العلمية الاكاديمية المتعلقة بعلم السياسة دوما الى تحديد السمات الأساسية من كل الدراسات المتعلقة غالبا بالقضايا العلمية والأكاديمية والفكرية، والظواهر الإنسانية والاجتماعية التي تبحث فيها، أوتلك التي تكون موضوع نقاش عام قصد الإحاطة بها واستجلاء مدخلاتها وتفكيك العلاقات المتشابكة فيها، وتمحيص تقاطباتها وتقاطعاتها الممكنة وحتى المستحيلة منها، رغبة في الكشف عن الإشكالات والغموض اللذان يكتنفان كل قضية ترتبط بالظواهر الإنسانية. ودراسة الظواهر تقتضي الوقوف بشكل معمق وواع على المصطلحات والمفاهيم التي تعد من بين الأدوات الفكرية التي تحمل متضمناتها خطورة من نوع ما، سواء كان ذلك على الصعيد الفردي أم الجمعي، وسواء أكان ذلك من قبل الفاعل نفسه أم الأطراف المستهدفة بذلك النشاط. وذلك بقدر عملها– أي المفاهيم والمصطلحات- على تحريك وعي الناس و مشاعرهم وعواطفهم ودفعهم الى العمل على تغيير وتقبل فعل التغيير نفسه، أو الحفاظ على مكتسبات معينة يعمد اليها الفاعلون. ويأتي "السياسي – و الخطاب السياسي"- ليكونا من بين أخطر هذه المفاهيم في وقتنا الحاضر[2].وهذا لأنهما غير بعيدين عن المجال الذي ينتمي اليه كليهما وهو – السياسة-، أي أنهما موجودين داخل المجال الخاص بهما: "السياسة، أو النظرية السياسية، أو النظام السياسي" القائم. والمبني أساسا على القوة والنفوذ جراء الاختلافات الكبرى بين النظم الديمقراطية والنظم غير الديمقراطية. لكن التنمية السياسية تتحقق بإقرار مجموعة من الخصائص التي بلغتها الممارسة السياسية في البلدان الديمقراطية، والتي تتجلى في انتشار التنظيم العقلاني في جميع أجهزة الدولة السياسية والإدارية، وداخل التنظيمات الحزبية، وسيادة القانون ومشاركة الجماهير في العملية السياسية، وتحقيق الاستقرار السياسي، كما أن التنمية السياسية هي بعد من ابعاد النمو الإنساني عامة ،و هي عملية تغيير تمتاز بخصائص معينة، وجانب من جوانب التغيير الاجتماعي[3].

وعموما يمكن تعريف التنمية السياسية كمفهوم اجرائي، بأنها ليست حالة بل عملية تتميز بالديناميكية والحركية، مرتبطة بالجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، تستهدف احداث تغييرات إيجابية في الأبنية الفكرية للسياسي، والمؤسسات السياسية القائمة وفي وظائفها، وتطوير الثقافة السياسية السائدة في اتجاه قدرة النظام السياسي ككل في اطار من الحرية والعقلانية[4]. هذا على مستوى التنمية السياسية ، أما على مستوى النظرية السياسية فهي تعتبر العمل السياسي التزاما أيديولوجيا يسعى من خلاله السياسي الى تحقيق المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والعمل على تقوية الدعامات التي تتبني عليها الحقوق والحريات من أجل الحفظ عليها، والسهر على تحقيق تكافؤ الفرص بين الأفراد داخل البلد الواحد.

وعندما نتحدث عن النظرية السياسية تنبغي الإشارة الى انها كانت من الناحية التاريخية حقلا أكاديميا متخصصا بدراسة القضايا ذات الصلة والعلاقة بالسلطة السياسية وأنظمة الحكم والدولة، حيث كان أفلاطون أول فيلسوف يتحدث عن فكرة " مركزية الانسان" في علم السياسة، اذ أنه لم ينظر الى سلوكه باعتباره نتاجا لأفعال وممارسات غيره من الأفراد في سياق أنشطتهم وتفاعلات بعضهم مع بعض داخل نطاق الدولة ومؤسساتها، هذا المنظور قد أنتهج من قبل أغلبية النظريات السياسية بما فيها نظرية السياسي واشكالاته المتعددة كالخطاب والتواصل ... ومنذ ستينيات القرن الماضي والحديث عن تحول النظرية السياسية الى كل ما كان يعتبر حتى ذلك التاريخ شأنا خاصا يأخذ مكانه في النقاشات السياسية الدائرة أنداك، فالتنظيمات الأيديولوجية المختلفة – "اليمينية والمتطرفة والاصولية واليسارية.. - " كانت تسعى الى افراز نخب سياسية جديدة قادرة على تحمل المسؤولية، أيضا بغية اخضاع السياسي لإعادة النظرفي سلوكياته، كي يسهل من تم تنظيمه داخل منظومة من القوانين من قبل الدولة، وبالتالي لا يمكن المساس بتكوينه السياسي، وهو ما جرى التعبير عنه في مقولة " ان الشخص هو كائن سياسي" [5].

---

[1] - مصعب هاشم أحمد الفكي: **"مبادئ العلوم السياسية"**، المركز العربي الديمقراطي برلين ألمانيا، الطبعة الأولى. 2022. ص. 9.

[2] - عبد الجليل مصطفى الخليل- و حسام الدين، "في النظرية السياسية النسوية: البنى الفكرية والاتجاهات المعاصرة"، عالم المعرفة، العدد 493، ص.15.

[3] - صعب حسن: " علم السياسة "، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1976، ص.ص . 370. 375.ض

[4] - محمد الرضواني : " التنمية السياسية في المغرب : تشكل السلطة التنفيذية وممارستها من سنة 1956 الى سنة 2000"، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الثانية، 2019، ص. 4.

[5] -For more details ; see Judith Grant ; « Political Theory » ; in. Lorraine Code(ed); Encyclopedia of feminist theories; Routledge; London; 2nd ed; . 2004; p.390.

ومما لا شك فيه أن أي شخص أو أي باحث أو مهتم في علم السياسة كلما حاول تفكيك تشابكات العلاقة ضمن الخطاب السياسي الا وكان عليه من الضروري أن يبحث بشكل طوعي في ما يسمى "بالرجال أو النساء المهتمون بالسياسة"، بالرغم أن تعبير "الرجل السياسي –أو رجل السياسة-" هو المصطلح الذي يحظى باحترام شديد في علم السياسة، وأن "رجل"، أو "انسان "، في معناه النوعي والشامل ينطوي تحته النساء أيضا، الا أن الكلمة قد تحمل أكثر من ايحاء في مجال السياسة، أو فلنقل في مجال التحليل السياسي، هو مهمة للرجال دون النساء. وان كانت النساء اليوم يقدمن نموذجا هاما في التغيرات والتحولات التي تشهدها التوجهات السياسية[6].

أصبح من الضروري والطبيعي اليوم الاعتراف أن الانسان برهن من خلال مجموعة من المحطات السياسية كاللقاءات الحزبية والمؤتمرات والمهرجانات الخطابية والمحطات الانتخابية، والضهور المتكرر في وسائل العلام المتعددة، على أنه كائن سياسي بامتياز، بل و مع مرور الزمن ازدادت شهيته للسياسة ووعيه بأهميتها، كما ازدادت أطماعه وطموحاته لتبوأه مكانة معينة، في اطار صراع محموم حول السلطة، كما لا يمكن لأحد اليوم أن ينكر أو أن يزايد على أن العالم السياسي هو عالم الخطاب لأنه هو الكفيل بالتأثير والتأثر بطبيعة النظام السياسي المتاح بنخبه ومؤسساته الدستورية التنفيذية والقضائية والتشريعية والسياسية، ولا يمكن لأحد أيضا أن يتجاهل تداخل الخطاب السياسي بالسياسة، وتداخل المصالح والسعي الى السلطة بالخطاب السياسي وتداخل الأقنعة بالخطاب السياسي، وان كان الجميع يعرف أنه ليس هناك خطاب سياسي "محايد أو بريئ أو مجاني لأنه لا حياد ولا مجانية في الخطاب السياسي[7]. لأن السياسة كما نعلم هي فن الممكن، وهي ذلك الصراع المحموم حول النفوذ وحول امتلاك السلطة أو كل مصادر القوة، أو كما يقول عبد الله العروي : السياسة مسألة إضافية، بين أمير ومطيع، ملك ومملوك، سيد وعبد، حاكم ومحكوم، الخ وبمعنى أخر" السياسة هي ميدان المصالح"[8].

ان عوالم السياسة وادوار السياسي والخطاب والتواصل والديمقراطية الداخلية والسلطة والأقنعة مفاهيم مرتبطة متشابكة متلازمة. وللوقوف على هذا الترابط بين الفعل السياسي وأقنعة السلطة والممارسة الذين من شأنهم انتاج معرفة جديدة تستمد خصوصياتها من كون الخطاب السياسي كينونة سياسية تتحول مع الفاعل السياسي والممارس أيضا للعمل السياسي والمؤسسات السياسية الى اليات لممارسة السلطة وشرعنتها لاستثمارها في توجيه الرأي العام[9].

والانسان باعتباره كائن حي يفكر ويتطور باستمرار، ويتحين الفرص فقد عرف عبر الأزمنة ، وعبر مسار التاريخ الطويل ،وعبر التحولات المتسارعة في عصر عرف بالسرعة ، وزمن العولمة والتطور الهائل في وسائل التواصل الاجتماعي، كما هائلا من الخطابات وأشكالا متعددة من السياسات والايديولوجيات المختلفة التوجهات والمشارب، وصراعات لا متناهية حول السلطة وسدة القرار وتلون الأقنعة ،مما جعله اليوم يجد نفسه في حالة من الذهول والحيرة، ومما دفع به مجبرا الى اتخاذ الحيطة والحذر من الخصوم، وأخذ مسافة بعيدة اتجاه هذه الأنماط الفكرية والسلوكية ، مما يدفع به الى التشكيك والاستغراب والتساؤل: لمادا أصبح الخطاب السياسي وجها من أوجه السياسة؟ وهل يمتلك السياسي اليوم باحترافية ووعي ودراسة هذا النوع من الخطاب؟ وكيف يمارس هذا الفعل من خلال تواجده في المشهد السياسي وفي المحطات السياسية الحزبية والانتخابية؟ ، وماهي حدود طموحاته ورغباته الخفية والمعلنة؟ ومن خلال هذه الأسئلة المطروحة والتي تكشف بشكل ملموس عن الإشكالية التي نود مقاربتها والمتمثلة في مكانة السياسي في خضم عالم السياسية وجوهرها وسؤال التمكين من اليات الخطاب السياسي. لهذا ارتأينا أن نقسم هذه الورقة البحثية الى ثلاثة محاور أساسية يجمع بينهما تداخل وتشابك غريب يصعب الفصل بينهم ففي المحور الأول سنتناول مفهوم السياسة بشكل مختلف لإبراز جدواها وتمظهراتها في علاقتها بالسياسي، والمحور الثاني سيتناول السياسي وانخراطه في فعل السياسة وخصوصياته المتعددة ومدى تمكنه من أدوات الخطاب، وفي المحور الثالث سنعمل على استجلاء مفهوم الخطاب السياسي

أولا: السياسة

---

[6] - روبرت ادال" ترجمة" علاء أبو زيد، و علاء الدين هلال: " التحليل السياسي الحديث"، مركز الاهرام للترجمة والنشز ، مؤسسة الاهرام، الطبعة الأولى، 1993، ص.6.

[7] -Maurice TOURNIER:"Yocabulaire politique et inventaires sur machine".(cahiers de lexicologie).1967-1:scientifiques.P:25.

[8] - عبد الله العروي: "من ديوان السياسة : استبانة"، المركز الثقافي للكتاب ، الطبعة الأولى، ، الدار البيضاء المغرب، ص ،21

[9] - ميلود بلقاضي:" الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب"، مطبعة دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2011، ص.5.

شكلت الحرب العالمية الثانية بداية انفتاح العلوم على بعضها البعض، وانتشار الدراسات بين الحقول (interdisciplinary)، اذ قضت أسباب اندلاع هذه الحرب ومخلفاتها الى انفتاح التخصصات العلمية في تناولها للكثير من الظواهر، وقد سمح ذلك بتفاعل إيجابي واخصاب متبادل بينهما.

وفي هذا الاطار لم يكن حقل علم السياسة بمعزل عن التأثر بحقول معرفية أخرى، حيث انتقلت بعض مقتربات علم النفس والانتربولوجيا والاقتصاد الى علم السياسة[10].

وعلى هذا الأساس فان التنمية السياسية تعد صلب مقترب السياسة والتي تجد أصولها في العلوم الاجتماعية عامة، كما تستمد أصولها من مجموعة من الدراسات الأنتربولوجية التي ركزت على ما يسمى بالنمو الاجتماعي، خاصة، النمو السياسي والوعي بأصول السياسة في الدول المتخلفة.

وترتبط نظريات التنمية السياسية أساسا بالسوسيولوجيا الأنجلسكسونية التي برزت بعد تراجع المد الاستعماري والاتساع التدريجي للبدان المستقلة، بغاية تفسير وفهم الواقع السياسي والاجتماعي لهذه البلدان ،وأحدثت في هذا الاطار مقتربات للبحث ركزت في جوهرها على تجاوز منظورين نظريين هيمنا على الدراسات السياسية فيما قبل، هما: المنهج القانوني التقليدي خاصة الدستوري الذي أبان عن ضعف وقصور في تحليل وتفسير التغير السياسي في دول العالم الثالث، تم المنهج الماركسي الذي خلق اطارا نسقيا متكاملا لتحليل أوضاع هذه البلدان[11].

1- معاني كلمة سياسة

ان كلمة سياسة هي ترجمة لكلمة politiqueفي اللغة الفرنسية أو politics في اللغة الإنجليزية وأصلها مأخوذ من الكلمة اليونانية e polisأي الحاضرة la cite، وهي تعني اجتماع المواطنين الذين يكونون بالمدينة . والكلام على الحاضرة يستدعي إعطاء تحديد واضح لما كانت تعنيه هذه الكلمة عند اليونان القدماء.

في اللغة العربية، غالبا ما تعتبر كلمة حاضرة cite مرادفة لكلمة مدينة ville، ولكن في اليونانية كان هناك فرق كبير بين الحاضرة والمدينة، فهذه الأخيرة كانت تحمل معنى ماديا، كونها مجموعة الأبنية والشوارع والساحات، بينما الحاضرة، على عكس المدينة، لم يكن لها مفهوم مادي انما انساني وحقوقي ، لأنها مجموعة من المواطنين القاطنين في المدينة، ولكن منهم المواطنون في اليونان القديمة[12].

لم يكن كل انسان يسكن المدينة مواطنا، فالنساء لم تكن لهن حقوق، لذلك لم تشمل المواطنة الرجال والنساء على حد سواء، انما اقتصرت على الرجال، وليس كل الرجال، فقط أولئك الذين يتمتعون بوضع حقوقي، ممنوح لهم من الحاضرة، ويخولهم حق المشاركة في الحياة السياسية وتولي المناصب الإدارية والسياسية، وهذا يعني علميا أن عددا كبيرا من الرجال كانوا محرومين من صفة المواطنة، هؤلاء هم العبيد والأجانب [13].

هذا المفهوم للحاضرة، ارتبط بمفهوم المدينة – الدولة الذي كان سائدا في اليونان القديمة-، اذ كانت المدينة وملحقاتها تؤلف دولة لها مقومات الدولة العادية، أي الأرض والشعب والسلطة الممارسة على الشعب الذي يعيش على هذه الأرض، فالإنسان القديم، كما يعرفه أرسطو يبدو " كحيوان مدني"، وليس "كحيوان اجتماعي"، لأن الحيوان يمكن أن يكون اجتماعيا بمعنى أنه يعيش ضمن جماعة أو قطعان، أما الانسان فهو وحده سياسي، اذ أنه يعيش في التنظيم الجماعي الذي يشكل الحاضرة، التي هي بالنسبة له ضرورة طبيعية ومثال أخلاقي، على حد تعبير " مارسيل بريلو" .

---

[10] - عارف نصر محمد، " نظريات السياسة المقارنة ومنهجية دراسة النظم السياسية العربية "، مقاربة ابستمولوجية، مؤسسة انترناشيونال كرافيكس، فرجينيا، الطبعة الأولى ، 1998، ص. 238.

[11] - المرجع نفسه ، ص. 237.

[12] - سليمان عصام : "مدخل الى علم السياسة "، بيروت، دار النضال والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1989، ص.7.

[13] - مصعب هاشم أحمد الفكي: "مبادئ العلوم السياسية"، مرجع سابق، ص.12.

أما في اللاتينية فقد حلت كلمة Respublica، مكان الحاضرة أي المدينة – الدولة-، وقد أصبحت فيما بعد مرادف للدولة، وفي الفرنسية ظهرت كلمة سياسةpolitque " ، بمعناها اليوناني، منذ مطلع القرن الثالث عشر، وقد عرف Brunetto Latini السياسة بأنها "حكم الحواضر"، وهي أنبل العلوم وأسماها، وهي أنبل الوظائف على الأرض. وقد تؤطر استعمال كلمة سياسة فعرفها معجم الاكاديميةpolitique (اسم مؤنث) هي كل ما له علاقة بفن حكم الدولة وبإدارة علاقاتها الداخلية والخارجية.[14]

سواء شئنا اليوم أو لم نشأ، فالسياسة أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، بل نجد أنفسنا ودون وعي منا أننا وسطها، أو نمارسها دون شعور، فلا يوجد أحد قادر على أن ينأى بنفسه عن الوقوع في دائرة التأثر لنظام سياسي ما. فالمواطن يتعامل مع السياسة عند تصريف أمور الدولة، والمدينة، والمدرسة، والمسجد، والكنيسة، والشركة، والنقابة، والنادي، والحزب السياسي، وجمعيات المجتمع المدني ...فالسياسة هي حقيقة من حقائق الوجود الإنساني لا يمكن تجنبها، فكل فرد يجد نفسه مشتركا بطريقة ما، في لحظة ما، في شكل ما من أشكال النظم السياسية. واذا كان المرء لا يمكنه تجاهل السياسة أو الابتعاد عنها أو تجنبها، فانه بالضرورة سيتحمل النتائج المتولدة عنها. وفي الماضي عبارة كهذه كانت لا تلقى اهتماما بل وكانت مستهجنة باعتبار أنها عبارة خطابية، أما اليوم فإنها حقيقة واضحة لا مراء فيها. فمصير الجنس البشري اليوم أصبحت تحدده السياسة والسياسيون، وذلك من صياغتهم للترتيبات السياسية[15]. فأصبحنا نعتبره سلوكا إنسانيا بل سلوكا سياسيا فما هو هذا السلوكي السياسي؟

2- من السياسية الى السلوك السياسي

تشكل دراسة السلوك احدى الموضوعات الجذابة والهامة، فالاختلافات السلوكية للأفراد المختلفين، وللفرد ذاته في حالات وظروف متباينة تدفع الى ضرورة دراسة جوانب الشخصية الغامضة التي لا تزال بحاجة الى استكشاف أكبر، ويقدم أهداف هامة بتأكيده على القيام ببحث ودراسة بعض القضايا، مع تطويع المعرفة الناجمة عنها. فكل فرد يؤدي سلوك أو سلوكيات. وكل سلوك أو سلوكيات تؤثر في الاخرين، العلاقات، المواقف [16].

ان السلوك الإنساني في كل حدوده وأشكاله ينطبق على السلوك السياسي كونه يمثل جانبا من الأول يختص بالبعد السياسي للسلوك الإنساني وهو يحدد الاتجاهات السياسية المتكونة لدى فرد او جماعة معينة نتيجة لعوامل ذاتية وموضوعية[17]. فالسلوك السياسي اذن جانب من السلوك الإنساني يرتبط بالفعل الإنساني الموجه من قبل الفرد اتجاه بيئته بقصد احداث تأثير سياسي فيها من جهة وبرد فعل الانسان اتجاه البيئة السياسية من جهة أخرى، وعليه فان هناك اتجاهين لفهم السلوك السياسي.

الاتجاه الأول: يفهم السلوك السياسي على أنه سلوك الناخبين، وقد كان هذا الاتجاه هو المهيمن عند علماء النفس وعلماء الاجتماع[18].حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك السياسي للمواطن ينعكس مباشرة في سلوكه الانتخابي وفي صناديق الاقتراع، فالنتائج المحصل عليها بعد التصويت هي كافية لدراسة السلوك السياسي لأنه يؤثر في عملية التصويت وفي العملية الانتخابية برمتها، فالمواطن النشيط سياسيا هو الذي يشارك في الانتخابات ناخبا ومرشحا نتيجة لما يتوقعه من تأثير مشاركته في نتائج الانتخابات، وقدرته على الاسهام في الميدان السياسي[19].

الاتجاه الثاني: هذا الاتجاه يسعى الى دراسة العملية السياسية من خلال حوافز ومشاعر وشخصيات المشاركين فيها ، فالسلوك السياسي بالنسبة الى هذه الفئة هو مجموعة ردود الأفعال السياسية للكيان الإنساني سواء ما كان منها مشتركا بين أبناء الجنس، أو ما كان خاصا بفرد دون الاخر[20]، فالسلوك السياسي ليس عملا باتجاه واحد وانما هو حصيلة تفاعل بين مؤثرات مختلفة ، فهو عملية تأثير وتأثر تجري

---

[14] - سليمان عصام : "مدخل الى علم السياسة "، مرجع سابق، ص. 13.
[15] - روبرت ا.داك" ترجمة" علاء أبو زيد، و علاء الدين هلال: " التحليل السياسي الحديث" مرجع سابق ص.7.
[16] - دافيد أو سيرز واخرون :" المرجع في علم النفس السياسي"، الجزئ الأول ،ترجمة، ربيع وهبة واخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، القاهرة، 2010، ص.152-155.
[17] - محمد عدنان محمود الخفاجي:" أثر القيم الاجتماعية في السلوك السياسي في المجتمعات النامية والمتقدمة"، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة النهرين ، العراق، 2001.ص.49.
[18] - محمد علي محمد : "دراسات في علم الاجتماع الساسي"، دار الجامعات المصرية، القاهرة ، 1975،ص.29.
[19] - أريك روي: " مقدمة في دراسة السلوك والمؤسسات السياسية"، ترجمة ، عبد الهادي الجوهري، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 1987، ص. 88.
[20] - حسن صعب : " علم السياسة"، دار العلم للملايين، لبنان ، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة 1977، ص. 63.

باتجاهين متعاكسين، فالبيئة السياسية غالبا تؤثر في الفرد وتدفعه باتجاه سلوك معين يؤثر من جهته في العملية السياسية[21]. ومن هنا يبرز أن السلوك الانتخابي لا يمثل تماما السلوك السياسي، ذلك أن نتائج الانتخابات تتأثر بعوامل أخرى ، بعضها اني يتعلق بالفترة القصيرة التي تسبق الانتخابات مباشرة لأن السلوك الانتخابي للناخبين يكون عرضة لتقلبات الاحداث السياسية ، ودور الاعلام والدعاية (الحملة الانتخابية)وعلى هذا قد يتغير موقف الناخب وقناعته ليلة التصويت، أو قد ينسحب المرشح قبل الانتخابات مباشرة مما يجعل السلوك الانتخابي لا يعبر دائما عن السلوك السياسي[22].

وتأسيسا على ذلك يمكن القول أن السلوك السياسي للإنسان يتغير بتغير الظروف والقناعات التي تحيط به في فترة معينة محددة زمنيا، والتي تدفعه الى التمييز بأمر مستعجل بين نوعين من الناس، الأول حركي وواعي للظروف والأحداث السياسية التي تدور حوله يتأثر بها وقد يؤثر فيها. والثاني جامد غير قادر على التغيير بل مستسلم ومسلم بما تصنعه الحياة من دون رد فعل اتجاه ما يجري.

ومن هنا تجدر الاشارة الى أن السلوك السياسي لا يقتصر على سلوك الأفراد داخل الأحزاب والجماعات، وسلوك الأفراد والأحزاب الانتخابي، فهناك أيضا سلوك سياسي على مستوى الدول وهو يرتبط بعلاقات الدول ببعضها –في اطار العلاقات الدولية والسياسات العالمية-، فنوعية الفعل السياسي التي تتخذه دولة معينة تجاه دولة أخرى هو سلوك سياسي لكنه سلوك سياسي على الصعيد الدولي[23]. وانطلاقا مما سبق يمكننا تعريف السلوك السياسي بأنه تصرف سياسي معين يتخذ تطبيقا لقرار سياسي معين من قبل فرد أو جماعة وتترتب عليه آثار سياسية معينة.

ثانيا: من هو السياسي؟

ان المجال السياسي ليس فقط مجال لتقلد السلطة والتمكن من المناصب العليا والبارزة في مدارج هرم السلم الاجتماعي للدولة، و ليس مجال القيادة وتولي الأمور العامة ، ولا ينبني على الكاريزمية وأشكالها المختلفة، بل هو أيضا يبدو من خلال الممارسة اليومية الفعلية والمستمرة، وهو ما يدخل في مجال المهن السياسية التي لا يمكن ارتجالها، والتي تستوجب تحكما يصعب على "المثقف المحترف" في مجال هذه المهن النجاح في ممارستها. ولهذا الأساس يتطلب الحقل السياسي اذن " استعدادات ومهارات بعيدة كل البعد عن استعدادات ومهارات المثقف، سواء كان جامعيا أو كاتبا أو فنانا، والمتعاطي للسياسة عرضا وبشكل غير مهني.[24] لأن حقل المهن السياسية متجذر في تاريخ المجتمعات، ويتطلب دراسات معمقة في مجال سوسيولوجيا الدولة والنظام السياسي القائم والسلطة، والمهن السياسية المرتبطة بها. مما يعني أن التفكير الفلسفي في الدولة والحقل السياسي وممارسته يستدعي عدم اكتفاء الفلسفة بتاريخها الخاص في هذا المجال، رغم الغنى المميز لهذا التاريخ، وانفتاحها على مقاربات العلوم الإنسانية المختلف. اذن فالسياسي الذي سينخرط في هذا المجال وفي عالم السياسة يجب أن يكون متمكنا من أدواته، وأن يكون من نوع خاص.

1- طبيعة السياسي:

ان السياسي le politique هو مجال حيث تشتغل علاقات القوة الرمزية لأجل امتلاك وتدبير السلطة التي لا يمكن أن تشتغل الا بقيامها على شرعية مكتسبة ومخولة، الا أن هذا غير كاف، اذ ان الذات السياسية التي تسعى الى الشرعية، ينبغي لها أيضا أن تبدو موضع ثقة وأن تقنع أكبر عدد من الأفراد الذي ينغي لهم أن يتقاسموا بعض القيم، كما ينبغي أن يضع المحفل السياسي في منظور مزدوج لبناء فكر سياسي يقع على عاتقه نسق مؤتمل من القيم والتدبير والآراء بقصد إقامة اجماع ما[25]،لأنه في سياق معترك السياسة نجد تعبيرات عن إرادة القوة المزدوجة الكاملة في كل قوة سياسية من هذه القوى على حدى، جذبا للجماهير، وطردا للقوى الأخرى المنافسة لها عن ساحة

---

[21] - احمد عبدالله الناهي، وخضر عباس عطوان :" السلوك السياسي دراسة نظرية وتطبيقية"، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية، العراق، الطبعة الأولى، 2018،ص. 26.

[22] - محمد المهدي: "علم النفس السياسي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2007، ص.61.

[23] - محمد عدنان الخفاجي، مرجع سابق، ص.2.

[24] -Riceur(P):« Ethique et politique »:In :lectures 1 (Autour du politique) ; op. cit. p :236-237.

[25] - باتريك شارودو، " حول الاقناع في الخطاب السياسي"، ترجمة محمد الولي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 6، 2015، ص، 89.

استقطاب الجماهير[26]، والمحفل السياسي يقوم بين السياسي والسياسة بين منظور مؤتمل يخلق انساقا من القيم ومنظور تداولي يستند على تجربة العلاقة مع الاخر لأجل التأثير فيه، اننا نوجد بالكامل في "تذويت subjectivation" السياسي[27].

قد يكون السياسي بحكم ممارسته وامتهانه أساليب الحكم والتدابير السياسية خبيرا بشؤون الدولة والسلطة ومقتضيات الفضاء العمومي، لكن الفيلسوف أو المفكر الفلسفي، وحتى ولو لم يكن رجل سياسة، أو كان على الأرجح رجل دولة غير كفء، فانه بحكم مسؤولياته الأكاديمية والتكوينية، وقدرته على الاستعمال النقدي لعقله العمومي، قادر بشكل فعال على التأثير سياسيا وبطريقة غير مباشرة في المجال العمومي. ومن جهة أخرى، يتجلى البعد العميق والأهمية القصوى للتفكير فلسفيا في السياسي من جانب الجدية التي تطبع السياسة، وتحديدا جدتها الاجتماعية والأخلاقية. فهي تمس البشر قبل المواطنين، في صميم كينونتهم ككائنات تحمل في ذاتها إمكانية الخطأ ، بحكم هشاشتها الأخلاقية الأصلية، وهشاشة العلاقات الاجتماعية المهددة دائما، داخل حالة الطبيعة أو الحالة المدنية (الدولة)، بالعنف والكذب والتمويه والاحتيال والاستغلال الاقتصادي والايديولوجي، أو ما أسمته الحداثة السياسية مع "توماس هوبز" - حرب الجميع ضد الجميع- ، أو ما يسمى " اللاشفافية"،(La non – transparence)في كينونة الأفراد وسلوكياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، أي ما يختفي وراء الغايات المعلنة داخل الحقل السياسي والأخلاقي لوجودهم[28].

2خصوصيات السياسي

يبدو أن التفكير في السياسي بكامل أبعاده المؤسساتية والأخلاقية والسياسية، يحمل وراءه عبئا تراثيا كبيرا، فهو لا يمكنه أن يطلق تأملاته في انفصال تام عما يمثله تاريخ الفكر السياسي منذ "أرسطو" وحتى "كانط" و"هيغل" و"جون لوك" و"جون جاك روسوو"ماكيفيلي" وغيرهم[29].

ان أول مبدأ مؤسس لخصوصية السياسي هو الحرية، والتعاقد السياسي فعل للحرية بموجبه يؤسس الشعب ذاته داخل كيان مدني يحفظ له سيادته السياسية وحقه في تشريع القوانين وتنفيذيها. وداخل هذا الاطار سيصبح التعاقد السياسي مؤسسا للدولة ولكل ما هو سياسي. حيث أنه لا يوجد سياسي يمارس السياسة ولا يسعى في قرارة نفسه الوصول الى السلطة، لكن ومع ذلك تستدعي خصوصية السياسي الوعي بعدة أمور مهمة من قبيل:

- أن السياسة ليست مجرد حماس مثالي موجه بفكرة العدالة الاجتماعية وحب الإنسانية، بل هي ممارسة موجهة بنوع من البراغماتية السوسيولوجية حسب (ماكس فيبر).

- ان ارتباط الممارسة السياسية بمجال الدولة والعنف المشروع يستدعي بشكل طبيعي جدا التفكير في قضايا الاتيقا، لاسيما اتيقا المسؤولية.

ان الحديث عن السياسي في الفكر الفلسفي الحديث في السياسية، وفي اطار الدولة الحديثة بمختلف قضاياها واشكالياتها السياسية، يستدعي أن تتوفر في السياسي خصوصيات محددة كمعقولية السياسي واستقلاليته.

أ- مصداقية السياسي ومعقوليته

ان الفكر الفلسفي الغربي القديم لم يبحث ظواهر السياسة والدولة والاستبداد والطغيان وغيرها، الا أنه كان يقصد استكشاف معقولية الحياة السياسية للبشر. فقد اعتبر أرسطو الحياة السياسية اطارا أسمى للمعقولية التي تريدها الطبيعة بالنسبة للبشر، وعلى العموم كانت الحياة السياسية لدى الاغريق شكلا من أشكال المعقولية. وأنه اذا ما تم القاء ما هو سياسي في الهاوية كما يقال، فان العقل نفسه هو الذي سيهوي. لأنه لن يعود عقلا خاصا بالواقع وموجودا به، ما دام الواقع الإنساني سياسيا[30].

---

[26] - عثمان الزياني ، " الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان"، دار نشر المعرفة، الطبعة الأولى.2017، 151.

[27] - باتريك شارودو، مرجع سابق.ص.89..

[28] - عبد الحق منصف، وعز الدين الخطابي: "فلسفة تأويل الوجود الإنساني عند بول ريكو" افريقيا الشرق، المغرب، 2020.ص.23.

[29] - عز الدين الخطاب ، وعبد الحق منصف: "السياسي واشكاليات الدولة والسلطة والعنف"، مرجع سابق، ص.25.

[30]-Ricoeur(P):" Leparadoxe politique " : In: Histoir et Vèritè، op .cit. p:262.

لا وجود لحياة سياسية دون معقولية. وطبيعة الفرد لا تنقاد الى الوضع الإنساني الا الدولة كفضاء للتداول والمصالح العمومية، ولعل أهم ميزة للفلسفة السياسية الاغريقية تكمن في كونها جعلت الخير شرطا سابقا على سعادة الفرد. فالفرد لا يكون مواطنا ولا يشارك في القوة العمومية الا بفضل اكتسابه الصفات الأخلاقية والفكرية التي تؤهله لكي يكتسب القدرة على المشاركة في السلطة، أي في التدبير العمومي، والمشاركة في اتخاذ القرار، ولا يمكن فصل معنى السياسي عن هذه الغاية التي تعطي فرادة للمواطنة البشرية التي تعلو فوق الحيوانية، لكنها لا تسمو الى مستوى المرتبة الالاهية حسب "أرسطو"[31]. هذا ادا اعتبرنا الدولة والحياة المدنية، بوصفهما أعلى تجل للسياسي.

فالتعاقد السياسي المبني على المعقولية والمصداقية هو الذي يدل على ولادة السياسي، وذلك بتحول الطبيعي (أي ما يكون فرديا بالطبيعة كالحرية والمساواة وباقي الحقوق الطبيعية الأخرى) الى شيء عمومي (أي الى حقوق تعم الشعب بكامله ككيان سياسي)، وذلك لتفادي ما هو غير طبيعي (كالحرب والعنف والصراع...). وقد أول "كانط" هذا التعاقد كأسمى فعل للحرية بمعناه السياسي لا الطبيعي، بل اعتبره أيضا " أول فعل قانوني" بشري مؤسس لكائن سياسي جديد "يسمى نظاما سياسيا أو شيئا عموميا"[32].

يبدو أن التعاقد السياسي يعتبر نواة للمعقولية السياسية للدولة الحديثة ، ومؤشر على مصداقية السياسي من خلال الأمور المتعاقد عليها، لأن معقولية السياسي تظهر من خلال المنفعة العامة والمواطنة الصادقة والوفاء بالعهود. ومن خلال معيار التدبير الجيد المرتبط بالحكامة الجيدة والمبني على مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة، وتحقيق التوازنات المجتمعية. وفضل الممارسات الأخلاقية المعقولة والمؤطرة والموجهة لممارسات التدبير السياسي. لكن لا يمكن القطع مع ما سماه "ماكيافيلي" ،(الدهاء السياسي)، الذي يتميز به غالبا السياسي، الذي يجب أن يخضع له منطق الطبيعة البشرية[33]. لأن فكرة الدولة والقوانين لا تكفي لتحقيق قوة الدولة، بل تحتاج الى عقلانية السياسي المبنية على المعقولية والمصداقية. لكن نلاحظ أن "مكيافلي" ربط السياسي بالقوة والدهاء والمكر، وفصل بين السياسة والأخلاق، ولم يعطي أهمية لمسألة المعقولية والمصداقية التي يتوخاه المواطن. وعليه فقد انتقد " نتشيه" انحراف السياسة لدى السياسيين أنفسهم :(لقد سقطوا في الفخ الأخلاقي ووضعوا الأخلاق في قاعدة الفعل السياسي)[34]. وقد أرجع ذلك لسيكولوجيا الشعب المتميزة بالسذاجة والوقوف عند المظاهر الخادعة والثقة العمياء في السياسي.

ب- استقلالية السياسي

ان الوجود السياسي للبشر، كأفراد وشعوب وما يعرفه من صراعات وتنافس من أجل امتلاك السلطة والهيمنة السياسية، يولد ويطور شرورا نوعية مقترنة بممارسة السياسة والسلطة، وهنا يمكن أن تظهر استقلالية السياسي التي يصعب تحديدها ، وعزلها عن الاستلاب الاقتصادي واختلالاته. وهنا يمكن أن نستحضر التجربة الستالينية باعتبارها نوعا من الميكيافلية السياسية التي مثلت جهد الدولة الثورية للقضاء على الاستغلال الاقتصادي ووضع حد للهيمنة البورجوازية والصراع الطبقي[35]. بإزالة الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج بوصفها أصلا لكل الاستلابات الحديثة، لأن الشر السياسي لا يمكنه أن يقوم الا على العقلانية النوعية لما هو سياسي[36].

ان أهم الاستنتاجات التي يمكن من خلالها بلورة مواقفنا وأفكارنا من الدولة واستقلالية السياسي في وجود البشر تنطلق من ضرورة إعادة الاعتبار لما هو سياسي انطلاقا من استقلالية السياسي من ما هو سياسي على ما هو اقتصادي، واكساب الفعل السياسي معقولية خاصة كما أسلفنا الذكر سابقا فلا ينبغي فصلها عن المعقولية الأخلاقية. وهنا يجب التمييز بين ما هو عقلاني(Rationnel)، وبين ما هو معقول

---

[31] - الدولة والحياة الاتيقية والسياسية ن في نظر "أرسطو" تتطلب الاجتماع البشري. من هذه الزاوية تشكل الدولة والحياة الاتيقية أسبقية على الفرد، الذي هيأته الطبيعة ليكون ويعيش داخل الدولة.
يقول "أرسطو": "ومن لا يستطيع الائتلاف، أو ليس بحاجة الى شيء لاكتفائه بذاته ، لا يمت الى الدولة بصلة، وهو وحش أو الاه".
أنظر "ارسطو": "في السياسة "، نقله من اليونانية الى العربية الأب أو غسطينوس بربراه الوليسي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1980.ص.10.

[32] - يقول كانط: "فالحالة المدنية ليست عشوائية، بل ضرورية(...) انها أول فعل قانوني"، التأمل 7936 من تأملاته –أوردته مونيك كاستيبو ضمن كتابها " كانط ومستقبل الثقافة".

[33] - يقول ماكيافيلي:" لكن تجارب عصرنا أثبتت أن الأمراء الذين قاموا بجلائل الأعمال، لم يكونوا كثيري الاهتمام بعهودهم والوفاء بها، وتمكنوا بالمكر والدهاء بالضحك على عقول الناس وارباكها وتغلبوا أخيرا على أقرانهم من الذين جعلوا من الإخلاص والوفاء رائدهم"، كتاب ألأمير،ص.147.

[34] - أنظر ما يقوله ،"نتشيه"، عن السيكولوجيا الفلسفية الحديثة وخضوعها لهيمنة الثنائيات الأخلاقية ضمن كتابه،Par- delà le Bien et le Mal- op- cit.p.22.

[35] - عبد الحق منصف و عزالدين الخطابي:" السياسي واشكاليات الدولة والسلطة والعنف"، مرجع سابق، ص.54.

[36] -Ricceur(Paul) ; " Le paradoxe politique" ; In ; Vèritè et Histoire ; èd. Seuil ; Paris ; 1975 ; p 261-262.

(Rationnable)، فهو من جانب أول، يعتبر أن مستوى أن المستوى التقني الاقتصادي للحياة الإنسانية يسعى الى تلبية مقتضيات ما هو عقلاني في وجود البشر، من خلال[37]:

- عقلنة العلاقات بين الإنتاج والرواج والاستهلاك، وتحقيق التوازن الاجتماعي وتبادل الخدمات.

- عقلنة العلاقة بالطبيعة وما توفره من إمكانات وموارد وفرص.

لكن الفجوة تتسع أكثر بين الاقتصادي والسياسي في المجتمعات الحديثة لتفصل بين مصالح الدولة ومصالح الفرد، فالدولة التي تبني استراتجياتها على أساس أفاق زمنية، تتجاوز الفرد ومصالحه الشخصية المباشرة والمحدودة.

وبالتالي لا يمكن في أي حال من الأحوال أن نتحدث عن الاستقلالية المطلقة للسياسي، حيث تبقى هذه الاستقلالية نسبية لأنه يصعب الفصل بين الاقتصاد والسياسة لانهما يسبحان في نفس الفلك، ولأن ما هو اقتصادي يرتبط بعقلانية الانسان وعلاقته مع الاخر.

وتأسيسا على ذلك يمكن أن نستنتج حدود المقاربة الاقتصادية الخالصة للحياة الاجتماعية والسياسية، لأنها لا تفسر كثيرا إشكاليات نوعية تهم السياسي في خصوصيته واستقلاليته النسبية، من قبيل السلطة والعنف والشر السياسي، ومسؤوليات الدولة في ما يتعلق بالديمقراطية والحريات الفردية[38].

ثالثا: الخطاب السياسي

ان مقاربة الخطاب السياسي في المغرب، لا تتم الا في استحضار خطاب الفاعل السياسي في النسق أو المنظومة السياسية، فلابد من ووضع الخطاب السياسي في مخابر دقيقة لاستكشاف ما يضمره من توجهات على المستوى الايديولوجي، وتحليله من أجل تفكيك مضامينه وجوانبه التداولية، حيث تبرز سياقات الأسلوب المستعمل سواء على مستوى الألفاظ أو الحركات والأفعال، والرسائل والاشارات الموجهة، وما ترمي اليه، وذلك في سياق بيئة تفاعلية، تأخذ أشكالا تنافسية صراعية في غالبيتها بحسب طبيعة علاقات الفاعلين –" المخاطب بفتح الطاء والمخاطب بكسرها"-. اذن فما هو مفهوم الخطاب ودلالاته اللغوية؟.

1- دلالات ومفهوم الخطاب بشكل عام:

هيمن مفهوم "الخطاب" على عدد من الأبحاث السياسية واللغوية والتواصلية أواخر الستينيات من القرن الماضي، خصوصا بعد ظهور المدرسة الفرنسية لنظرية تحليل الخطاب. لكن، رغم هذه الهيمنة فقد بقي على هذا النحو حتى سبعينيات القرن العشرين ليصبح الخطاب متعدد الدلالات، ومن قبيل التداول المشترك في الأدبيات السياسية والاجتماعية واللسانية والأبحاث السوسيو- لسانية[39].

يرجع العديد من المهتمين البوادر الأولى لتحليل الخطاب الى مرحلة (1919- 1920). وهي مرحلة تزامنت مع تأسيس اللسانيات على يد فيردناند دوسوسور (1856- 1913) واضع قواعد اللسانيات البنيوية الحديثة[40].

لقد كانت البدايات الأولى – ككل بدايات الحقول المعرفية الأخرى – بكيفية محتشمة حيث أنها لم تعط مساحة كبيرة لضبط مفهوم الخطاب والغوص في أعماقه وفي مغزاه ودلالاته الجوهرية ووظائفه، لأسباب منهجية معرفية ابستمولوجية، فاقتصرت على القراءات التفسيرية والتأويلية الغير معمقة للمستويات المفاهيمية المتعلقة بالخطاب، مما دفع الى التفكير بطريقة أخرى أكثر جدية للتوصل الى تعريف الخطاب وضبط اليات تحليله باعتباره إشكالية مفهومية ومنهجية داخل الحقل اللساني.

---

[37] - يقول" ريكو"، نقلا عن عبد الحق منصف وعزالدين الخطابي، في كتاب : **"السياسي واشكاليات الدولة والسلطة والعنف"**، افريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 2020.ص.55.

[38] - يقابل هذا الرأي أطروحة "ميشال فوكو"، التي تدعو الى التخلي عن المسلمة التي تجعل السلطة مماثلة لكيان قابل للاحتكار من طرف أجهزة ومؤسسات سياسية خاصة، أو من قبل طبقة اجتماعية خاصة، وفهمها بالأحرى بوصفها نتاجا متعدد الأوجه لعلاقات القوى التي تثيرها العلاقات الاجتماعية نفسها، وللاستثمارات التاكتيكية والاستراتيجية علاقة هذه القوى ، " فالسلطة تمارس انطلاقا من نقط لاتحصى داخل لعبة علاقات لامتكافئة ومتحركة.

[39] - ميلود بالقاضي ، " الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب "، مرجع سابق، ص.9.

[40] - Genevieve. P.Chauveau: "Analyse du discours JAURESIEN. Langages N52" Decembre 1978. D. L AROUSSE. P.7.

من خلال الاستعمالات المتكررة لمصطلح " الخطاب" في قوامس اللغة العربية ، فانه قد جاء مرادفا لمفهوم " الكلام " وعلى هذا المستوى تعد دلالة "الخطاب" خارج " لسانيات الخطاب "، لذلك لم يعر فيرناند دوسوسور أي اهتمام "للخطاب"، بل كان اهتمامه الأكبر موجه ومركز حول مفهوم "اللسان" الذي شكل الموضوع المركزي لأبحاثه[41].

ونقول خاطب يخاطب خطابا وخطبة ومخاطبة أي أصدر كلاما أو قولا في لحظة معينة وفترة زمنية محددة تحمل رسالة أو إشارة معينة من أجل خلق نوع من التواصل، لكن يبقى هذا المفهوم اللغوي بسيطا لا يشفي غليل الباحث المهتم والمتتبع العارف والسياسي الذي له غايات متعددة.

فالخطاب وحدة متكاملة تتجاوز الجملة والتعريف اللغوي. فهو يرادف في هذا السياق مفهوم "الملفوظ"(Enoncè) الذي يكون موضوع تحليل النصوص من ناحية المقاربة النحوية. ومن هذا المنطلق فان الخطاب الذي يعادل مرادف "الملفوظ" (Enoncè) من وجهة نظر المقاربة التداولية التي تنظر اليه باعتباره معطى متداخل لعناصر ذاتية وسياقية معينة. وهناك من يعتبر الخطاب مرادف لعملية تبادل الحوار داخل سياق تواصل معين بالمعنى التلفظي(Enonciatif).

وفي تعريف اخر " الخطاب" مفهوم مضاض "للسان" ("الخطاب هنا يحمل دلالة النظام كمجموعة من القيم الخاصة")، وفي هذا الصدد يجب التمييز بين دراستين للمفاهيم والمصطلحات. تهتم الدراسة الأولى بالمفهوم داخل " اللسان" بالمعنى السوسوري، والثانية تهتم بدراسته داخل " الخطاب"[42].

وهناك فريق يقول بأن " الخطاب" يرادف نظاما من المواقف التي تسمح بإنتاج مجموعة غير محددة من الأحاديث تتحكم فيها وضعية اجتماعية أو أيديولوجية، وهذه الوضعية هي التي تسمح لنا بالتمييز بين التشكيلات الخطابية بالمفهوم الفوكوي نسبة الى ميشيل فوكو لخطابات متعددة. وقد تبنى فوكو مصطلح "الخطاب "، ليدل على نظام اجتماعي مرتبط بالتاريخ، ينتج المعرفة والمعنى، وقد لاحظ بوضوح أن الخطاب المبني على التأثير، ينتج ما دعاه "ممارسات تشكل - منهجيا- أهداف الكلام[43]. لذا فالخطاب وسيلة تنظم المعرفة التي تؤسس للأعراف الاجتماعية –والدولة تبعا- من خلال التفاهم الجماعي حول : المنطق المطرد، والخطاب المقبول كحقيقة اجتماعية[44]، وبالنسبة لفوكو فان المنطق الناجم عن الخطاب مرتبط بنيويا بالمعرفة الأوسع (هيكل المعرفة) للفترة التاريخية التي نشأ فيها. ومهما يكن من أمر، فان الحوارات والخطابات تبنى بتأثير من السلطة المتداولة داخل نظام اجتماعي ما، وهذه السلطة تشرع قوانين معينة وتضع تصنيفات تقر معايير تشريع المعرفة والحقيقة خلال نظام منطقي، وهذه القواعد والتصنيفات تعتبر قبلية، أي انها تأتي سابقة على الخطاب[45].

وهكذا يحجب الخطاب بنيته وقدرته على انتاج المعرفة والمعنى، الى الحد الذي يتقنع فيه خطاب ما ليبدو تاريخيا أو كونيا أو علميا يفيض موضوعية واستقرارا، حيث يصف "ستيفن جل" مبدأ فوكو في الخطاب بأنه "منظومة أفكار وتطبيقات لها ظروف وجود محددة، وتكون أكثر أو أقل مؤسسية، لكنها مفهومة بشكل غامض لأولئك الخاضعين لهيمنتها"[46].

أما المفهوم الذي حددته نظرية تحليل "الخطاب" واتخذته موضوعا لها، بعد تفرده عن باقي المفاهيم وتميزه عنها خصوصا مفهومي "الحديث" و "النص"، يقول ل-كصبان-(L.Guespin): " الخطاب حديث يحدد من وجهة نظر الميكانزمية الخطابية التي تؤثر فيه"[47].

---

[41] - محمد مهداوي: " السياسات العمومية والانتقال الديمقراطي للخطاب السياسي بالمغرب " ، أطروحة دكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة الحسن الأول ، سطات، 20-4-20219.،ص 125.

[42] - ميلود بلقاضي: "الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب" مرجع سابق .ص.10.

[43] -Michal Foucaut ;" Archaeology of Knowledge and the Discourse on Language(1969)" (trans.AM.Sheridan Smith;1972); 135-140 and 49. See also L Foucout ; "The Ordre of Discourse; in R Young (ed) Untying the Tex" t: A Post- structuralist Reader (1981).

[44] - في هذا الجانب، تتداخل "أفكار" فوكو وجاك لاكان حول الخطاب، على الرغم من اختلاف تركيبزهما. في حين ينظر لاكان الى الخطاب من وجهة نظر التحليل النفسي، وبالتالي، الاعداد البين ذاتي، يركز فوكو على الخطاب من وجهة نظر البنيوية للمؤسسات والسلطة. See J Lacan The Seminar XVII ;The Other Side of Psychoanalysis. (2007) (Trans ;R Grigg).

[45] -Foucoult Archaeolgy of. Knowledge(note 1 above) ;

[46] -S Gill ; Globalization ;" Market Civilization and Disciplinary Neoliberalism" -(1995) 24 Millennium-Journal of ; International Studies ; p.399 ;402.

انطلاقا من هذا المفهوم يمكن أن نستنتج أو يمكننا القول أن أي مقاربة لنص ما من حيث بنائه اللغوي يجعل منه "حديثا"، وأي مقاربة لغوية لشروط انتاج ذلك النص تجعل منه "خطابا ".

نخلص في مسألة مفهوم الخطاب أن ما يجعل الخطاب خطابا هو مرجعيته المؤسساتية، وارتباطه بشروط الإنتاج. وأن تعدد المفاهيم المتعلقة بالخطاب ودلالاته هو الذي فتح المجال لتعدد المقاربات ومناهج التحليل.

2- الخطاب السياسي بين المفهوم والأبعاد

أما على مستوى تحديد مفهوم الخطاب السياسي فغالبا ما يعترض الباحث والمهتم صعوبات جمة واشكالات حقيقية ، فرغم التداول الكبير لمفهوم الخطاب السياسي في عدة مجالات الا أنه لازال يعتريه ويلفه الكثير من اللبس والغموض. مما يجعل كما هائلا غير محصور من الأسئلة يتبادر الى الذهن من شبيه : ما هو الخطاب السياسي؟ هل هو كل ما يتداول داخل الحقل السياسي؟ هل هو كل ما ينتجه الفاعل السياسي أو المؤسسة السياسية؟ وما هي علاقاته المتنوعة والمختلفة والمتداخلة (بالسلطة – الأيديولوجيا- النخبة- المواطن- الديموقراطية-)؟

قبل أن نسترسل في الإجابة عن هذه الأسئلة، لابد من الوقوف على مفهوم ودلالات الخطاب السياسي: علما أن هناك مجموعة من الحقول المعرفية تتخذ من الخطاب السياسي موضوع بحثها كالتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والانطولوجيا الاجتماعية والعلوم السياسية وعلوم اللسانيات وعلوم الاعلام.

أ- مفهوم الخطاب السياسي:

يقدم عدد من الباحثين والمهتمين الخطاب السياسي على أنه بنية أو نظام أو منظومة أو نسق من الأفكار تشكل عبر تراكم معرفي نابع من استقراء الواقع بكل مكوناته الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية. ويتمحور موضوعه حول أنساق أيديولوجية مستمدة من نظام سياسي معين. ويكون وراء انتاجه مؤسسات سياسية حزبية أو حكومية أو نظامية[48]. لذلك يتميز الخطاب السياسي عن باقي الخطابات ، لكن يجب أن لا يفهم من هذا أن الخطاب السياسي هو السياسة كلها كما قال باتريك. شارودو – Patrik Charaudeau - وان كان هو الوجه الاخر للسياسة كفعل[49]. لكن تتميز السياسة عن الخطاب السياسي بكونها تتعلق بكل ما ينظم الحياة الاجتماعية باسم بعض المبادئ التي تشكل نوعا من المرجعية المعيارية، وبعبارة أخرى السياسة هي نمط من الوجود لحياة مشتركة يتوافق عليها المجتمع بشكل أو باخر، أما الخطاب السياسي فهو ممارسة في تدبير شؤون الحياة الاجتماعية عبر علاقات سلطة وسلطة موازية أو مقابلة ، وعلاقات الخطاب السياسي بالسياسة هي علاقة جدلية. فالخطاب السياسي كممارسة لا يمكن أن يتشكل دون المبادئ التي تؤسس السياسة، كما أنه لا يمكن تصور السياسة الا ضمن ما يجسده الخطاب السياسي والممارسة للفعل السياسي.

فوفق هذا التصور، فان الخطاب السياسي هو نسق أو بنية أو منظومة من المفاهيم والكلمات التي لها قيم ودلالات سياسية ، ومرتبط بسياسيين لهم من الحنكة ما لهم، وبفاعلين ومؤسسات ذات أيديولوجية معينة.

وهو قبل كل شيء عملية تواصلية، هدفه هو التأثير أي توجيه وخلق رأي عام حول قضية أو قضايا معينة وفق استراتيجية يحدد الفاعل السياسي خطوطها العريضة بحس سياسي. بل أن السياسي موضوع هذه الورقة البحثية يستثمر الخطاب السياسي ليشرعن برنامجه السياسي وقراراته ، شرعنة قد تتكامل أو تتقاطع وطبيعة النظام السياسي القائم بمؤسساته الدستورية والسياسية والثقافية ونخبه. وبالتالي فالحديث عن الخطاب هو حديث عن التواصل السياسي وعن شرعنة السلطة السياسية. وعليه فالمنطلق الأساسي يتمحور حول كيفية صياغة الخطاب السياسي اذ يبقى جوهر العمل السياسي ذاته. فالاستثمار الواعي في لغة التواصل يحول الخطاب الى أداة فعل وسلطة

---

[47] -L.Guespin : « problématique de travaux sur le discours politique »: Langages N23.1971.P.10.

[48] - ميلود بلقاضي: "الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب"، مرجع سابق ص.47.

[49] - باتريك شارودو – دومينيك منغشو:" معجم تحليل الخطاب"، ترجمة عبد القادر المهيري- حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص.123.

وإنتاج لسياسة تبريرية، تجد دلالاتها الحقيقية في استثمار المفاهيم في الخطاب، سلطة تحكم وتوجه وتأمر وتتخذ مواقف حسب موقعها في بؤرة الصراع[50].

ب الخطاب السياسي بين التشكيل والتنزيل

ان السؤال المطروح فهذا الباب يتمثل في كيفية تمثل السياسي للخطاب السياسي وحدود تنزيله وممارسته على أرض الواقع ؟.

ان الجواب على هذا السؤال الذي أعتبره لوحده يشكل اشكالا معقدا يحتاج لقراءة مستفيضة متعددة الأبعاد والمسارات، وأن تفرد له كتابات مختلفة تحمل أوجه نظر مختلفة، لكن ما ستجيب عنه هذه الأوراق البحثية لن يكون شافيا وكافيا ،اذ سأتناوله من زاوية السياسي بشكل خاص ومدى مجاراته لتحديات الواقع السياسي القائم ، وحجم طموحاته لتحقيق أطماعه التي أعتبرها قريبة المنال، ولا تعدو أن تكون مجرد أدغات أحلام ستتحقق بوصوله الى السلطة.

ان إشكالات الخطاب السياسي في المغرب منشغلة الى حد كبير بهواجس الماضي القريب والبعيد انه حامل لأسئلة معلقة أو مؤجلة ومغرقة في القدم وتحضر في الخطاب سياقات عديمة الدلالة وفاقدة لهوية معرفية واضحة المعالم، ثم ان المعجم السياسي المغربي على المستوى المعرفي والتحليلي يعكس أو يعبر عن معرفة فيضية، يمكن أن تقاربها بتلك المعرفة التي يسميها الفيلسوف المعاصر " ارنست بلوخ E. Blokh"، وعيا استباقياconscience anticipatrice ، بمعنى تلك المعرفة المقطوعة الصلة بالواقع المعيشي وبين المعرفة التي تنتمي الى مجال المتخيل والطوبي أكثر مما تنتمي الى الواقع[51]. ج- أبعاد الخطاب السياسي

يتشكل الخطاب السياسي المعاصر وان كان هناك اختلاف حول ذلك، من بعض المفاهيم والموصوفات التي نجدها في مقامات الخطاب السياسي المغربي من قبيل ما يسمى بالبعد اليتوبي، البعيد كل البعد عن تقديم التحاليل والتفاسير والتوضيحات، وإبراز الصدق من الكذب، والتغول في الازدواجية والفصامية، والوصولية والانتهازية، وغياب الوضوح والمصداقية، وصعوبة اظهار المخفي أمام المعلن ، فكل خطاب سياسي سواء كان خطاب سلطة أو خطاب معارضة يتضمن ليس فقط بعدا أيديولوجيا أي تسويغا للواقع، بل وبالأساس بعدا يوتوبيا، يلفه الخيال ويغرق في الوعود كالوعد بالجنة السياسية على الأرض، لتزايد الطلب الاجتماعي التعويضي للمثالية واليوتوبيا من جهة، ومن جهة أخرى الترويج لما يسمى بالمعادلة أو اللعبة السياسة المعاصرة فيما يسمى بتداول السلطة، حتى تبدو هذه اللعبة السياسية واقعية من حيث ممارستها وكدا حدودها وهو ما يسمى -la raison d'etat- أي المقتضيات الداخلية للدولة القادرة على تحجيم التطلعات واقتلاع الأوهام واطفاء الأحلام في اتجاه تصريف عقلاني واقعي لسير الدولة في اطار المولاءمة بين المداخيل والمصاريف[52].ان الطريقة الحقيقية والمثلى لفعل السياسة هو الالتفاف على الحقيقة والواقع وتقديمها بطريقة تخدم هدف السياسي، وهو الانتصار على خصومه وربما على الواقع نفسه[53].

أما على مستوى البعد الدلالي اللفظي فاننا هنا نود اثارة بعض ما يحتويه الخطاب السياسي من الفاظ وعبارات تحمل دلالات ومعاني متعددة، تختلف أوجه ومواطن استعمالها، ان حقيقة تاريخ المغرب الحزبي مليء بخيبات الأمل والفرص الضائعة، مليء بالتضخم الخطابي والكلامي حول العهود والوعود الواهية والكاذبة والمنافية للواقع، وحتى الممكن والمستحيل ، لدرجة أن الأمر أصبح فعلا متوارثا بين الأحزاب، ومن الملاحظ أن من خصائص الخطاب السياسي عدم الوضوح المفاهيمي، والسبب في ذلك هو أن الحقل السياسي مبني على مواقف غير ثابتة يتحول معها العالم السياسي الى عالم غير عقلاني من الناحية الموضوعية ومليء بالأقنعة التي تخفي الحقيقة. من خلال الصور أو الدلالات السياسية الخادعة، وهذا ما يعرف بالمغالاة في القول والتقسيط في الفعل، لذلك لابد أن يأخذ كل قول او كلام أو مفهوم في الخطاب السياسي على قياس ما يعنيه وما يصرح به وما يطمره ، وأن لا يستقبل بسذاجة فهو يبقى في كل الحالات خاضع

---

[50] - امحمد أعويش:" بيير بورديو وأطروحة إعادة الإنتاج الاجتماعي"، .new- educ.com.https //www.new-euduc.commزرته بتاريخ 3-11-2022.على الساعة 20h11

[51] - فريد لمريني :" الخطاب السياسي المغربي: مقاربة مفاهيمية، إشكالات الخطاب المغربي المعاصر "، يوم دراسي من تنظيم مجموعة البحث في تراث الشمال الافريقي، 11 فبراير، 2002، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 69، سلسلة ندوات ومناظرات 22، الطبعة 2003، ص.12.

[52] - محمد سبيلا: "للسياسة بالسياسة في التشريح السياسي"، افريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2010، ص.33.

[53] - أنظر محمد المصباحي: " هل يمكن الكلام عن الحق في الكذب في المجال السياسي"، ضمن: فلسفة الحق، كانط والفلسفة المعاصرة، تنسيق: محمد المصباحي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 143، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية ، بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2007، ص.ص.191.221.

لاستراتيجية السياق أو المؤسسة أو الزعيم أو القائد ومفتوحا أمام كل الوسائل القادرة على التأثير والجذب. كما أن المتمعن الدراس للخطاب السياسي المتعلق بالنخبة السياسية يجد أنه ينطوي على ازدواجية في الخطاب ، فهناك خطاب سياسي مضمر مستتر وخطاب معلن عنه متداول في الفضاء العمومي والإعلامي، و يتماشى هذا الخطاب المعلن عنه الى حد كبير مع الخطاب الرسمي المهيمن الذي يمجد مختلف خطوات الإصلاح والانتقال الديمقراطي والأوراش المفتوحة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومستويات التنمية بمعنى أنه عبارة عن "خطاب الخضوع الملقي في حضور المسيطر" على حد قول جيمس سكوت[54]، حيث نجد أن الخطاب السياسي المضمر الذي يتم في اطار الدوائر الضيقة أو الخاصة، ومن النخبة نفسها يهمس من وراء الخطاب الرسمي ويركب موجة النقد ويزكي مستوى التراجعات وانحصار الأفق في مختلف المجلات، ولا يكشف عن حقيقة النوايا والاطماع.

ان البعد الدلالي اللفظي على مستوى الخطاب السياسي غالبا ما يتسم بما يسمى بالكذب السياسي، وهذا الأخير يعتبر قيمة تداولية في العصر الراهن، حيث أصبح مجال السياسة فضاء للكذب بامتياز، فالخطاب السياسي في المغرب لم يخرج عن هذه السياقات المعتلة، وبنوع من المغالاة والتضخم اللفظي في توظيف الكذب في متون وملفوظات الخطاب السياسي من أجل ممارسة الخداع والتمويه على الجمهور، دون اعارة الاهتمام للموجبات والفروض الأخلاقية، مما يثير طبيعة العلاقة الجدلية بين السياسة والكذب، اذ غدت السياسة في البيئة المغربية هي فن الكذب بامتياز[55].

لقد احتل الكذب السياسي موقعا نوعيا في الممارسة السياسية اذ يتخذ أشكالا تداولية عديدة تتزاوج بين التجلي عبر اللغة والتخفي في ثنايا الخطابات التواصلية، وغالبا ما يأتي الكذب ليبرز التهرب من تحمل المسؤولية السياسية اتجاه قضية مستعصية أو نتيجة تسرع الفاعل السياسي وتراجعه في الان نفسه.

وتأسيسا على ما سبق فالخطاب السياسي ظاهرة إنسانية متعددة الأبعاد ، يتضافر فيه النفسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والعلمي والتاريخي.. وغيرها. وتحليل الخطاب السياسي حقل معرفي يقع في دائرة العلوم الانسانية، ويعد موضوع الذاتية والموضوعية من أكثر الإشكالات التي تواجهه حساسية. وتزداد خطورتها بسبب التأثير المتوقع لتحيزات الباحثين وميولهم وانتماءاتهم السياسية[56].

ان الخطاب السياسي ليس كالخطابات الأخرى الدينية والثقافية والروائية، فلغته لغة تواصلية ويخلو من اللغة الإبداعية، ولكن لا يعني هذا أن اللغة سلسة ولا تحتاج الى فك شفرة بل الخطاب السياسي يكتنه بالجمال الدلالي والتأملات والغموض والابهام ولعل طبيعة النص السياسي كبعض الخطابات تحتاج الى فهم وتأويل كما تحتاج الى متلق بارع من خلال الاستدلال المنطقي كما أننا لا ندرك ما يرمي اليه المخاطب تماما[57].

خاتمة

حاولنا في هذه الأوراق البحثية تسليط الضوء على أهم مرتكزات العملية السياسية برمتها، وجوهر أي تنظيم سياسي، ونفض الغبار على محور الممارسة السياسية، واستكشاف البيئة المحيطة بالفاعل السياسي، من أجل الإجابة عن الإشكالية الرئيسة المتعلقة بطبيعة السياسي في ممارسته للسياسة، وتداوله لسلطة الخطاب السياسي؟. فالسياسي الذي نريده جميعا هو ذلك الفاعل الانسان المتزن والمتخلق والمثقف الصادق المعقول ، المكون داخل التنظيمات الحزبية، الذي أصبح عملة نادرة في عصرنا هذا، لأن مغريات الحياة اليومية، والتطلع الى السلطة، والحصول على الحظوة والوجاهة، أفرغ العمل السياسي من مكتسباته التاريخية والنضالية التي راكمتها الأحزاب منذ عقود خلت والتي كانت لها مكانتها داخل الهرم السياسي، وكان لها صيتها المجلجل، ولكنها سرعان ما تراجعت وفقدت مكانها وبدأت بالخفوت سنة تلوى الأخرى، وبعد كل محطة سياسية انتخابية تفقد بريقها، لأنها تخلت عن الأطر والكفاءات، واعتمدت علي سياسي لا يؤمن بالمبادئ

---

[54] - جيمس سكوت :" المقاومة بالحيلة ، كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم"، ترجمة إبراهيم العريس ، ومخايل خوري، دار الساقي ،بدون تاريخ النشر، ص.17.

[55] - عثمان الزياني: " الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان"، مرجع سابق، ص. 99.

[56] - عماد عبد اللطيف: "ما بعد التصدير "، - كتاب- "الخطاب السياسي في المغرب: بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان"، الدوحة 14 أبريل 2016.ص.11.

[57] - عيسى عودة برهومة: " تمثلات اللغة في الخطاب السياسي" ، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 36، يوليوز-

والايديولوجيا، ولا بالمصداقية والاستقلالية والمعقولية، ولا يمتلك أدوات الخطاب السياسي الفعال والرصين، بل يؤمن بالانتهازية والوصولية، وتحقيق الأطماع له و لدويه ومقربيه، داخل صراع تتعدد أسلحته الفاسدة والمدمرة.